تفسير سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد

فهذه السورة سورة القيامة من السور العظيمة التي اشتملت على ذكر تقرير البعث بعد الموت ، وأن كل إنسان مرتهن بعمله وأن كل إنسان على بصيرة من أمره بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ويوم يجمع الله جل وعلا الخلق ليوم القيامة كل إنسان على بصيرة من نفسه ولو اعتذر بما اعتذر به فإنه لن تنفعه حين ذاك المعاذير فلو ألقى المعاذير فهو على بصر ومعرفة بحقيقة الحال وما عمل وما قدم ، والقيامة اسم من أسماء اليوم الآخر ومن المتقرر عند أهل العلم أن كثرة أسماء الشيء تدل على عظمة ، لأن كثرة الأسماء تكون لكثرة الصفات فالقيامة وصف لذلك اليوم وسمي ذلك اليوم بيوم القيامة لأن الناس يقومون فيه لرب العالمين قيام طويل كما قال جل وعلا يوم يقوم الناس لرب العالمين يقومون ليس قيام يوم من أيام الدنيا أو يومين أو سنة أو سنتين بل يقومون في ذلك اليوم العصيب قياماً طويلاً ويكون مع ذلك القيام هلع القلوب والحزن والخوف إلا من أنعم الله جل وعلا عليهم ، بإنتفاء الحزن والخوف عنهم إن الذين سبقت لهم منى الحسنى أولئك عنا مبعدون * لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون * لا يحزنهم الفزع الأكبر كذلك القيام الطويل معه الفزع لأنه انتظار كل إنسان يبدأ يتذكر ، يبدأ يتذكر ما قدم وما سعى في يوم طويل يزداد معه الهم ، لأنك إذا أردت أو إذا كنت في

استقبال من أمرك لشيء وتبدأ تتخوف وكلما طالت المدة لانقضائه كلما زاد الخوف وزاد الهلع وزاد ما في النفس إلا من أنعم الله جل وعلا عليهم بألا يخافوا ولا يحزنوا وهم أهل العمل الصالح وأهل العلم النافع الذين قال الله جل وعلا فيهم ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين بعد الأوصاف السابقة في سورة فصلت ، إذاً فاسم القيامة من أسماء الله اليوم الآخر وهو يوم وليس بأيام والقيامة لأجل وصف القيام فيه الطويل وقال بعض أهل العلم : إن القيامة أيضاً سميت بذلك لأن الناس يقومون من قبورهم ويذهبون إلى أرض المحشر يجتمعون فيها ولها أسماء أخر ، وهذه السورة بدأها الرب جل وعلا بقوله لا أقسم بيوم القيامة وأهل العلم يقولون : لا أقسم معناها أقسم ولكنه عدل عن القسم إلى نفي القسم زيادة في تأكيده ، وكأنه كرر القسم عدة مرات ، كأنه قال جل وعلا أقسم بيوم القيامة أقسم بيوم القيامة أقسم بيوم القيامة ، وزاد أو أتت لا هنا صلة مزيدة إعراباً ، لأجل تأكيد القسم كما جاء زيادة ما إعراباً في قوله فبما رحمة من الله لنت لهم يعني فبرحمة من الله لنت لهم وكما في قوله فبما نقضهم ميثاقهم لعنَّاهم يعني فبنقضهم ميثاقهم ، وهذا من أسرار اللغة العربية أن يكون هناك زيادة لحرف ويكون القصد من زيادة الحرف زيادة إعرابية يكون القصد من زيادة ذلك الحرف أنه في مقام تكرير الجملة وفي مقام تأكيدها ولهذا هنا لا أقسم بيوم القيامة أعظم تأكيداً مما لو قال جل وعلا أقسم بيوم القيامة ولو قال أقسم بالنفس اللوامة فهذا يكون أقل مما هاهنا ولهذا هنا فيه مزيد

تأكيد للقسم لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة القسم بيوم القيامة لأن الله جل وعلاله أن يقسم بما شاء من خلقه يقسم بالشمس بالقمر بالليل بالضحى ويقسم بما شاء من الأشياء وأما الخلق فلا يجوز لهم أن يقسموا إلا بالله جل وعلا وبصفاته وأسمائه سبحانه وتعالى لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة يعني وأقسم بالنفس اللوامة ، لم هنا صدر هذه السورة بالقسم بيوم القيامة وبعده بالقسم بالنفس اللوامة لأن هذه السورة من مقاصدها الحديث عن ما يكون من الإنسان يوم القيامة من الفرار ، ومن إلقاء المعاذير يقول الإنسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره هنا الذي يكون عنده لوم ومعاذير هو صاحب النفس اللوامة وما من أحد إلا ويلوم نفسه إلا المتمحض للشر ، ولهذا أقسم الله جل وعلا بالنفس اللوامة تعظيماً لشأن هذه النفس التي تلوم صاحبها لكن هذا اللوم إذا كان في الدنيا فشأن ، وإذا كان في الآخرة فشأن آخر ، إذا كان في الدنيا فإنه إذا لام نفسه فإنه سيصحح فيبادر بالتوبة فيبادر بالإنابة وأما إذا كان اللوم يوم القيامة يلوم نفسه فحينئذ لا ينفع اللوم وكما قال سبحانه ولات حين مناص ما فيه يعني ذلك اليوم تلوم نفسك أو لا تلوم لا ينفع نفساً إذ ذاك لومها ولا ينفع نفساً إذ ذاك معذرتها إلا من أتى الله جل وعلا بقلب سليم . السورة اشتملت على أشياء كثيرة وربما يضيق المقام عن ذكر تفسيرها بكاملها لكن يوم القيامة اليوم الآخر ، الإيمان به من أركان الإيمان ، واليوم

الآخر أقام الله جل وعلا البرهان عليه في الكتاب في مواضع كثيرة وهو لا شك صائر وكائن ولا محالة ، والبرهان عليه كثير في القرآن ، برهان عقلي وبرهان نقلي يعني بالنص وأيضاً هناك برهان اضطراري لأنه لابد منه كما قال جل وعلا في هذا البرهان الآخير أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار فوجود الفئات المختلفة في المطيع والعاصي ، وجود الكافر والمؤمن يتحتم معه عند ذي العقل إذا آمن بربوبية الله جل وعلا أن الرب لم يساوي بين هؤلاء بل لابد أن يجعل هذا على حال وذاك على حال ، ومن المنظور في الدنيا أن الدنيا عُجلت للكافر وأن المؤمن ربما لم يأخذ حقه ونصيبه من النعيم في هذه الدنيا فتقرر ذهنا بأنه لابد وأن يكون المطيع للرب الذي خلق هذا الملكوت أنه سيحظى بنعيم الله جل وعلا ، وهذا النعيم لابد أن يكون له معاد من البراهين قصة خلق آدم عليه السلام فإن آدم خلقه الله جل وعلا وابـتدأ خلقه من طين ، من تراب ، صلصال ، حمأ مسنون فلما اكتمل خلقه نفخ الله جل وعلا فيه الروح فإذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وهذا الابتداء ، ابتداء الخلق أو ل مرة برهان على الإعادة لأنك تجد أن الإنسان إذا مات ينعكس هذا الخلق فآخر ما دخل فيه الروح ، وأول ما يخرج منه عند ابتداء الحياة الآخرة أول ما يخرج منه الروح ، فبه صار بشراً سوياً بدخول الروح ، فإذا أراد الله جل وعلا أن يميته أمر الملائكة بأن يقبضوا روحه فيبقى جسداً يعني الإنسان يبقى جسداً مثل ما كان أول مرة جسد باقي لا روح فيها لو بثت فيه الروح صار

حياً ، ثم بعد ذلك لو انتظر بهذا الجسد قليلاً بعد فراق الروح لإنتقل إلى الحال التي قبل دخول الروح فيه أول مرة ، ثم الحال التي تليها ، ثم الحال ..
حتى يكون تراباً رميم إذا أدخل في القبر ، فإذاً من براهين البعث العقلية خلق آدم الأول ، بالإقرار بما جاء فيه من النص ، خلق آدم الأول ، وأنه بعد موت الإنسان ينعكس ما حصل أولاً فتنصل الروح أولاً ثم يكون حمأ مسنون ينتفخ في القبر ويتصلب ثم بعد ذلك يكون صلصال يبدأ يجف ثم بعد يبدأ ذلك يتفكك حتى يكون تراباً فيرجع إلى ما كان عليه
تبقى بذرة للإنسان في القبر ، وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال (بين النفختين يعني النفخة الأولى والثانية ، يعني نفخة الصعق ونفخة البعث بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعون يوماً قال أبيت : قالوا أربعون شهراً ؟ قال : أبيت ، يعني أبيت أن أقول شيئاً لا علم لي به ، قال بعد ذلك يعني تتمة لحديث النبي عليه الصلاة والسلام ، وكل شيء يبلى من ابن آدم إلا عجب الذنب ومنه يُركب الخلق يوم القيامة ، لهذا في القرآن كثيراً ما تجد الماء ، دليل البعث في إحياء الله جل وعلا الأرض بعد موتها ، أنت الآن تأتي إلي الأرض ، أرض ما فيها عشب ولا نبات إلى آخره وتأخذ التراب وتمحصه وتنظر هل فيه بذور ؟ هل ترى بذور ؟ هذه بذرة كذا وهذه ، لا ترى بذوراً ، وغذا أنزل الله جل وعلا عليه الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى الآن هذه الأرض فيها كثير من بذور ابن آدم .

خفف الوطء فما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد

فهناك بذور كثيرة فالله جل وعلا شبه بل أقام البرهان على إعادة البعث فيما تراه من إحياء الأرض الميتة ، والنبي عليه الصلاة والسلام قال (كل شيء يبلى من ابن آدم إلا عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة) يعني هذه البذرة بذرة الإنسان فإذا أراد الله جل وعلا قيام الناس لرب العالمين هناك نفخة الصعق يموت الجميع ، بين نفخة الصعق ونفخة البعث هناك أحوال عظيمة يكون فيها تغيير هذا الكون الأرض تبقى لا أحد عليها تتغير الجبال تذهب ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعاً صفصفا يعني الأرض [لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا] .

هذا الذي دفن وراء جبل ولا دفن فيها .. خلاص الأرض استوت ، صارت الآن الجبال ذاهبة الوديان ايضاً تتغير ، الأرض مدت ، السماء تغيرت ، الشمس كورت ، القمر تغير يعني أن ما بين النفختين تتغير فيه أحوال العالم الملكوت لأجل الاستعداد ليوم القيامة العظيم .

ثم جل وعلا يرسل مطراً كما ثبت ذلك في الحديث مطراً تمطر به الأرض أربعين صباحاً وهذا المطر وصفه عليه الصلاة والسلام أنه كمني الرجال يعني أبيض غليظ ليس من مني الرجال ولكنه كمني الرجال ، يناسب تلك الإعادة فتخيل الأرض والناس بذر فيها ، فيمطر الله جل وعلا ذلك المطر وكما تنبت الأرض نشوفها بالمطر كذلك تنبت الأرض بالأجسام ، تنبت أجسام أشجار تصير أشجار عكس اللي حصل أول ، عكس اللي حصل ، يعني خلق آدم

ثم عكسه ثم الآن يرجع من جديد وآخر شيء تأتي الروح وقد قال فيها ابن القيم في أبيات جميلة في النونية قال : ـ

وإذا أراد الله إخراج الــورى بعد الممات إلى المعاد الثـاني
ألقى على الأرض التي من تحتها والله مقتدرٌ وذو ســلطان
مطراً غليظاً أبيــضاً متتابعاً عشراً وعشراً بعدها عشران
فتظل تنبت منه أجساد الورى مثل النبات كأجمل الـريحان

حتى إذا ما الأم يعني الأرض :

حتى إذا ما الأم حان ولادهـا وتمخضت فنفـاسها متداني

(إذا زلزلت الأرض زلزالها) ونفاسها متدان

أوحى لها رب السماء فتشققت فإذا الجميع كأكمل الشبان

يعني عمره ثلاث وثلاثين سنة كأكمل كأكمل الشبان هذه أجساد بدون أرواح فيأمر الله جل وعلا الملك أن ينفخ في الصور نفخة الحياة ، نفخة البعث بعد الموت (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) هنا قال جل وعلا في سورة القيامة (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوي بنانه) وهذا في شيء ليس هو مجرد جمع العظام الذي استغربه المشركون هو أبلغ ، حتى البنان سيعود كما هو البنان هذا الذي لا يشترك واحد من الخلق مع الآخر في شكل بنانه يعني في شكله ، فإنه سيعود كما كان في هذه البذرة الصغيرة من آخر عجب الظهر يعني أن كل إنسان سيعود الأرواح

فاضت لرب العالمين وأرواح السعداء في الجنة وأرواح الأشقياء في النار ثم تعود الأرواح إلى الأجساد في أعظم اتصال وأبلغ اتصال بما لا يكون معه انفكاك ، حياة دائمة لا يقبل هنا الجسد الانفكاك عن الروح ولا الروح الإنفكاك عن الجسد ، إلى آخره في هذه السورة بيَّن جل وعلا في أولها هذا ، يعني يوم القيامة واستغراب من استغرب (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه) والإنسان هنا المراد به الإنسان الكافر لأن الإنسان هنا المراد به الإنسان الكافر لأن المؤمن يؤمن بذلك في آخر السورة أقام البرهان على ذلك فكر أنت في نفسك كيف جئت (ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) .بلى إنه لقادر سبحانك بلى

السورة موضوعها واحد وفي أولها ذكر يوم القيامة واستغراب الكافر له وفي أخرها البرهان على ذلك أحد البراهين وما بين ذلك فيها وصف لما يحصل يوم القيامة ، وفيها وصف للكافر ووصف للمؤمن ، ووصف للسعداء ووصف للأشقياء وحالة الموت الذي لا يستطيع أحد أن يفر منه فالواجب على كل مسلم خاصة في هذا الشهر الكريم أن يعود نفسه تدبر القرآن ، لأن الله جل وعلا أمر عباده بالتدبر ، وبالتدبر يحصل للقلب النور و والسرور والانشراح والبهجة ، لأن الله أمرك بذلك حيث قال سبحانه (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقال (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا) وقال (أفلم يدببروا القول) وقال (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا

آياته وليتذكر أولو الألباب) فإذاً القرآن يحتاج إلى تدبر وأهل الذكر الذين مدحهم الله جل وعلا هم أهل القرآن الذين تدبروا وعلموا وفقهوا فاللي عنده استعداد في فقه الكتاب وفقه السنة يسعى لذاك ويفقه والتفسير بحره طويل من جهة لغته ومن جهة العقيدة التي يمكن تقريرها عن طريق التفسير والمسائل والسورة مليئة بمسائل كثيرة لكن نكتفي بهذه الإشارة عن غيرها لضيق الوقت .

أسأل الله جل وعلا لي ولكم البصيرة في الدين وأن يجعلنا من أهل القرآن ومن المتدبرين فيه .